الكثرات وازال الانانيّات كان الله تعالى اذا ارادان يـبلغ عـبده الى هذا المقام ابتلاه بالبلايا الواردة النّفسيّة والبدنيّة والحقّيّة الخـلقيّة حتّى ينزجر غاية الزّجرة ويستوحش غاية الوحشة و ينصرف من الكثرة الى الوحدة و لذلك يظهر قبل ظهور صاحب الامر الدّجّال و السّفيانى، و قبل خراب الدّنيا يأجوج ومأجوج، ولمّااراد الله تعالى ان يبلّغ موسى عليه السلام الى هذا المقام وكان شديد الاهـتمام بـالكثرات وحقوقها سلّط عليه البرد وظلمة اللّيل وتفرّق المـاشية ومـخاض المرأة وعدم انقداح الزّندة وضلال الطّريق حتّى دهش غاية الدّهشة واستوحش غاية الوحشه.

ثمّ اراه نوره بـصورة النّـار وبـلّغه الى ذلك الوادى وذلك الوادى واقع بين جبلى انانيّة الله وانانيّة العبد ومطوىّ فيه الخيرات والبركات ومجتمع للملك والبشر والخلق والحـقّ، ومـطوىّ فـيه انموذجات العلوم كلّها والآيات جلّها .

و هذا هو طور النّفس و مرتفعها وفـناء دار التّـوحيد فـانّ الطّور اسم للجبل ولفناء الدّار كما انّه علمٌ لجبل قرب ايلة يضاف الى سينا وسينين وعلم جبلٍ بالشّام .

و قيل: هو يضاف الى سينا وسينين، وعلم جبلٍ بـالقدس عـن يـمين المسجد، و آخر عن قبلته به قبر هارون، وجبلٌ برأس العين، وجبلٌ مشرفٌ على الطّبريّة وعلم كورة بمصر، وعلم بلد بنواحى نصيبين.

﴿وَ أَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ يعنى للرّسالة والوحى، وقرئ انّا اخترناك بفتح الهمزة و تشديد نون انا، واخترنا بصيغة المتكلّم مع الغير.

﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ للوحى او للّذى يوحى اليك ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ بيان لمايوحى.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا﴾ لمّاكان اساس الرّسالة واصل الاصول والفروع فى الدّين هو التّوحيد كان الله تعالى يوحى بتوحيده الآلهة والعبادة اوّل مايوحى.

﴿فَاعْبُدْنِى﴾ اى صر عبداً لى بخروجك من رقّيّتك لنفسك وللشّيطان ومن شراكة نفسك والشّيطان لله فى عبديّتك او اعمل لى عمل العبيد.

﴿وَ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ اى لان اذكرك ولاشرف اشرف منه يعنى انّ الصلوة ذكرك لى وذكرك لى مستعقب لذكرى لك، او لان تذكرنى او لمحض ان تذكرتنى من غير شوب غرضٍ آخر فيها.

او المعنى اقم الصّلوة لحصول ذكرى بمعنى انّك كلّما تذكّرنى فتوجّه توجّهاً تامّاً حتّى تقيم الصّلوة ولاتكن كمن يذكرنى ذكراً ناقصاً من غير توجّهٍ والتفاتٍ.

او بمعنى انّك كلّما ذكرت الصّلوة المنسيّة بان ذكرتنى و ذكرت امرى وتذكّرت نسيان الصّلوة المنسيّة فأقمها.

او بمعنى انّى ذاكرٌ لك بالذّكر العامّ مداماً و يقتضى ذلك ان

تكون متوجّهاً الىّ توجّهاً تامّاً وقدسبق فى اوّل البقرة معانى الصّلوة، وتحقيق اقامتها.

وانّ اقامة الصّلوة عبارة عن ايصال الصّلوة القالبيّة بالصّلوة الذّكريّة القلبيّة وايصال الصّلوة الذّكريّة بالصّلوة الفكريّة الصّدريّة، وايصال الصّلوة الفكريّة بالصّلوة القلبيّة الحقيقيّة، وايصال الصّلوة القلبيّة بالصّلوة الرّوحيّة.

واعلم، انّ الذّكر كما سبق بيانه فى سورة البقرة عند قوله تعالى فاذكرونى اذكركم له مراتب ودرجات وانّ الذّكر الحقيقىّ وحقيقة الذّكر هو خليفة الله فى الارض.

فانّه وان كان بحسب ملكه مختفياً كونه ذكر الله لكنّه بملكوته ذكر جلىّ لله بحيث يلتبس على غير ذىالبصيرة التّامّة انّه هو الله لظهور المحكىّ به بحيث يختفى البينونة ويغلب حكم الظّاهر على المظهر.

وانّ المقصود من الاذكار والاعمال الّتى يقرّرها صاحب هذا الامر على السّالك هو حصول هذا الذّكر فانّه غاية الغايات ونهاية النّهايات.

فالمعنى على هذا اقم الصّلوة واوصل مراتبها كلاًّ بالاخرى لتحصيل هذا الذّكر او لحصوله يعنى ان لميكن هذا الذّكر حاصلاً لك فاقم الصّلوة ليحصل لك لانّه هو البغية العظمى والغنية القصوى،

وان كان هذا الذّكر حاصلاً لك فـاقم الصّـلوة شكـراً لهـذه النّـعمة واستتماماً لتلك البركة.

﴿إِنَّ ٱلسَّـاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ تعليلٌ لقوله: اقـم الصّـلوة لذكـرى فانّ السّاعة فسّرت فى الاخبار بساعة ظـهور القـائم عليه السلام، وبسـاعة الموت، وبالقيامة.

وهذه الثّلاث فى العالم الصّغير متّحدة فانّ ظهور الامام عليه السلام بملكوته لايكون الاّ عند الموت الاختيارىّ كما انّه لايكون الموت الختيارىّ الاّ عند ظهور الامام عليه السلام وعـند المـوت يكـون القـيامة الصّغرى، وكمايكون ظهور الامام عليه السلام فى الموت الاختيارىّ يكـون فى الموت الاضطرارىّ ايضاً كما فى الاخبار فعلى هذا كان المعنى اقم الصّلوة منتظراً لظهور الامام عليه السلام بملكوته لانّ ساعة ظهوره آتية لامحالة فانتظرها.

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ قرئ بضمّ الهمزة من الاخفاء بمعنى جـعل الشّيء خفيّاً، او بمعنى سلب الخفاء عن الشّيء، وقرئ بفتح الهمزة من خفاء بمعنى اظهره، ولكن فى الاخبار اشارة الى معنى السّتر، ولمّا كان ظهور السّاعة من الامور الخفيّة الّتى لايطّلع عليها النّفوس الضّعيفة بل الكاملة الاّ صاحب الولاية المطلقة الّذى يـطّلع عـلى دقائق الامور وخفيّاتها.

و لذلك قال علىّ عليه السلام: قدخصّصت بعلم المنايا والبلايا.

فانّ المراد بالمنايا انواع موتات الانسان فى السّلوك وفى البرازخ، وانواع ظهورات السّاعة والقائم عجّل الله فرجه والمراد بالبلايا انواع الامتحانات للخلاص من حجب ظهور السّاعة والامتحان لظهور السّاعة فرّع العلم بكيفيّة ظهورها ووقت اتيانها وفى اخبارنا: اكادا خفيها من نفسى.

و قيل: اكادا خفيها من نفسى هكذا نزلت، وانّه فى قراءة ابىٍّ كذلك، وهذه الكلمة تقال عند المبالغة فى اخفاء شيءٍ من غير اعتبارٍ واخفاءٍ من النّفس، او المراد بقوله تعالى: من نفسى: من خليفتى، فانّ خليفته فى الارض بمنزله نفسه.

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ تعليل لقوله: انّ السّاعة آتية، لانّ ظهور القائم عليه السلام يوجب اعطاء كلّ ذى‌حقٍّ حقّه، او تعليل لقوله: اكادا خفيها لانّ فى الاخفاء وعدم الاظهار يحصل الابتلاءات والامتحانات والتّخليصات للسّالكين فى الدّنيا وللمسيئين فى البرازخ بعد الموت على ان يكون المراد بالسّاعة القيامة الكبرى والقيام عند الامام بعد الخلاص ممّا عليه من شوائب المساوى والابتلاءات جزاء مافعله العبد باقتضاء نفسه ومشتهياتها.

او تعليل لكليهما على سبيل التّنازع، والجزاء امّا بعين ماتسعى بناءً على تجسّم الاعمال، او بجزاء ماتسعى، وفى الآية على مافسّرت اخيراً دلالة على ماقالته الصّوفيّة من انّ السّالك

ينبغى ان يكون منتظراً لظهور صاحب‌الامر عليه السلام وان لايكون منظوره من جملة اعماله الاّ ظهور صاحبه.

وفى قوله: اقم الصّلوة لذكرى ايماء الى حصر المقصود من الاعمال فى الذّكر باعتبار مفهوم القيد ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ اى عن اقامة الصلوة لذكرى او عن الصّلوة لذكرى او عن السّاعة اى عن ساعة ظهور الامام عجّل الله فرجه.

﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ فى مرجع هذا الضّمير مافى مرجع ضمير عنها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ من قبيل عطف العلّة او المعلول ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ فانّ فى الصّدّ عنها صرفاً عنها وفى الصّرف عنها توجّهاً الى الدّار السّفلى وحركةً فيها لانّ النّفس متحرّكةٌ وخارجة بالتّدريج من القوّة الى الفعل، واذا انصرفت عن الدّار العليا توجّهت لامحالة الى الدّار السّفلى وتحرّكت فى دركاتها وفيها هلاكتها.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ لمّاصار موسى عليه السلام فى غاية الوحشة والدّهشة والاضطراب من خوف ضياع ماله وعياله ورؤية غرائب لم‌يكن يرى قبل ذلك مثلها من اشتعال نارٍ بيضاءمن شجرةٍ خضراء من اصلها الى فرعها لم‌تكن تضرّ النّار بخضرتها واهواء النّار اليه كلّما اراد ان يأخذ منها و تكلّم متكلّم من النّار، سأل تعالى عن احبّ الاشياء اليه حتّى يشتغل به ويأنس من وحشته ويسكن من اضطرابه فانّ الاشتغال يسكّن الضطراب خصوصاً اذا

كان فى حقّ المحبوب ومع من كان الاضطراب منه.

و لذا بسط موسى عليه السلام فى الجواب و ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ وزاد على قدر الجواب قوله ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ اى اعتمد فى المشي او حين اريد ان أقوم على غنمى ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ اي اخبط الورق من الاشجار ﴿عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ مثل سوق الغنم بها ودفع الذّئب حين تعرضه، والاستظلال بسبه بان كان يركزها فى الشّمس ويعرض الزّندين على شعبتيها ويلقى عليها كساءه، وتطويل حبل الدّلوبها اذا قصر، وغير ذلك، واجمل المآراب مع انّه كان اقتضاء بسط الجواب ان يبسط المآراب امّا للاستحياء.

او لعدم مساعدة قبله على اكثر من ذلك لشدّة اضطرابه، وايضاً لمّااراد الله ان يجعل عصاه آية نبوّته وآية انّ الكلام رحمانيٌّ لاشيطانيّ اذ قيل: انّ موسى عليه السلام شكّ فى انّ الكلام شيطانيّ او رحمانيٌّ، وقيل: انه عليه السلام بعد ماسمع انّى انا الله من الشّجرة قال، ماالدّليل على ذلك؟ ـ سئل من عصاه حتّى يتنبّه انّه جمادميّت ويتدكّر فلايشك اذاصارت حيّة حيّةً فى انّه آلهيٌّ لاشيطانيٌّ.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ تتحرّك سريعةً، قيل: لمّاالقيها صارت حيّةً بغلظ العصى فعظمت وصارت ثعباناً عظيماً، ولذلك سمّاها جانّاً تارةً، و ثعباناً اخرى، او صارت من اوّل الامر بعظم الثّعبان لكنّها تتحرّك

سريعاً مثل الجانّ، ولمّارأى موسىعليه السلام انّـها صـارت حـيّةً عـظيمةً تسعى خاف منها وادبر يعدو من خوفه.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾اى هيئتها الاولى ﴿وَ ٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾الجناح اليد و العضد والابط والجانب ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ اى من غير علّة برصٍ وكان موسىعليه السلام شديد السّمّرة فأخرج يده من جيبه فاضاءت له الدّنيا.

﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ على صدق كلامى وانّـه رحـمانىّ وعـلى صدق رسالتك عند من اريدان ارسـلک اليـه ﴿لِـنُرِيَكَ﴾ مـتعلّق بتخرج او باضمم او ظرف مسـتقرّ خـبر مـبتدءٍ مـحذوفٍ، واللاّم للتّبيين او متعلّق باذهب والمعنى لنريك.

﴿مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُـبْرَى ٱذْهَبْ إِلَـىٰ فِـرْعَوْنَ﴾ يـعنى المقصود الاهمّ من ارسالك اليه تكميلك فـى ذاتك حـتّى تسـتعدّ لرؤية الكبرى من الآيات وهى مشاهدة نور الولايـة العـلويّة، و الكبرى امّا صفة للآيات والمفعول محذوف.

ومن آياتنا قائم مقامه، او من بنفسه مفعول ثانٍ لنريك لكون من اسماً او لقيامه مقام المفعول لقوّة معنى البعضيّة فيه، او الكبرى مفعولٌ ثانٍ لنريك ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز عن الحدّ حتّى استكبر على خلفاء الله ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

اعلم، انّه قدتكرّر قصّة موسىعليه‌السلام وقومه وقصّته مع فرعون باختلافٍ يسيرٍ فى الالفاظ ووجه التّكرارانّ حكاية موسىعليه‌السلام من اوّل انعقاد نطفته الى آخر حياته كلّها عبرة ونصح و وعد و وعيد وانذار وتبشير وتسلية للرّسولصلى‌الله‌عليه‌وآله وللمؤمنين، وتقوية لتوكّلهم وصبرهم على مانالوه من الدّهر والاعداء.

و فيها آيات كثيرة دالّة على علمه تعالى و قدرته و لطفه ورحمته ونكاله وعقوبته، و على قوّة قلب موسىعليه‌السلام وسعة صدره وزيادة تحمّله لمانال من قومه الّذين كانوا اشدّ حمقاً من امم جميع الانبياء، و شدّة صبره على مداراة الاعداة ليكون اسوةً لهصلى‌الله‌عليه‌وآله وللمؤمنين فى جميع ذلك، وكفى فى قوّة قلبه وسعة صدره فى مقام المناجاة الّذى قلّما ينفكّ المناجى عن الغشى والانسلاخ من الكثرات ومن الشّعور بها بقاء التفاته الى الكثرات بحيث لميكن يهمل من حقوقها شيئاً.

فانّه بعد ماامره الله تعالى و شرّفه بالرّسالة استشعر بانّ الرّسول ينبغى ان يكون طليق اللّسان حتّى يمكنه الدّعوة و المجادلة اللاّزمة للدّعوة ودفع الخصم وشبهاته وكان بلسانه لكنة لايمكنه ذلك.

و ينبغى ان يكون وسيع الصّدر حتّى يمكنه تحمّل متاعب الرّسالة، و لاينزعج بكلّ مكروهٍ فانّ الرّسالة يلزمها المكاره الّتى

يسلم اكثر النّاس منها، و كان ضيّق الصّدر شديد الغضب سريع الانزعاج من كلّ مكروهٍ، و ينبغى ان يكون محبوباً للخلق لامبغوضاً و كان عليه السلام مبغوضاً لهم لقتله منهم نفساً.

ولذلك اعتذر واستعفى وقال كما فى سورة الشّعراء: ربّ انّى اخاف ان يكذّبون ويضيق صدرى ولاينطلق لسانى فارسل الى هارون ولهم علىّ ذنب فاخاف ان يقتلون، ولعلّه كان الكلام والامر والرّدع من الله الاعتذار و الاستعفاء و المسئلة من موسى عليه السلام مكرّراً وكان استعفاؤه كما فى سورة الشّعراء اوّل مااجابه فلمّا ردعه الله عنه سأل منه تعالى شرح صدره كما حكى الله عنه فقال: اذا لم يكن بدّ من ارسالى فاشرح لى صدرى .

﴿وَ يَسِّرْ لِيٓ أَمْرِى ﴾ حتّى لايردّونى ولايبغضونى فيصعب علىّ دعائى لهم لانّى قتلت منهم نفساً ويقبلوا منّى ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾ الظّاهر و لسانى الباطن ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴾ فانّه كان بلسانه لكنة من جمرة ادخلها فاه حين امتحان فرعون تميزه و رشده.

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى هَـٰرُونَ أَخِى ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ قوّتى ﴿وَ أَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى ﴾ قرئ اشدد بضمّ الهمزة واشركه بفتح الهمزة على صيغة الامر وقرئ الاوّل بفتح الهمزة و الثّانى بضمّها على صيغة المضارع المتكلّم فان كانا امرين كانا

تاكيداً لقوله: اجعل لى وزيراً و لذلك لم‌يأت باداة الوصل، وان كانا مضارعين كانا مجزومين فى جواب الامر.

و فى قوله: اشركه فى امرى، دلالة على انّه لم‌يرد بكونه وزيراً محض المعاونة فى الامر بل اراد ان يكون شريكه فى الرّسالة ايضاً حتّى يكون اهتمامه بالامر مثل اهتمام موسى عليه السلام.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ لمّا كان عماد امر الرّسالة والعبادة هو التّسبيح والتّحميد بل كان اساس جملة الامور على الطّرح والاخذ والخلع واللّبس الّذين صورتهما الزّكوة والصّلوة والتّسبيح والتّحميد والتّبرّى والتّولّى، جمع فى غاية مسؤله بينهما وجعل غاية سؤال الموازرة ذلك للاشعار بانّ منظوره من السّؤال ليس الاّ ماهو ملاك جملة الامور.

وفيه اشعار بانّ الاجتماع اذا كان على سبيل الموافقة يعين على جهة العبادة ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ اعتذار عن سؤال وزارة هارون بأنّك بصير باحوالنا وانّى منفرداً لااقدر على امضاء هذا الامر وانّ هارون اولى من غيره لوزارتى وانّى لم‌اراد من هذا السّؤال الاّ تكثير التّسبيح والذّكر، او استدراك لنقصان سؤاله بمعنى لكنّك كنت بنا بصيراً فان تعلم انّه لايصلح لى هذا المسؤل، او لايصلح هارون للوزارة، او لاخير لى فى شرح صدرى وتيسير امرى فلاتجب مسؤلى.